جغرافية مدينة صنعاء الطبية

(1900-2025م)

د. نجيب قائــد البنــاء

استاذ الجغرافية البشرية العامة المساعد

كلية التربية بالمحويت – جامعة صنعاء

2003
١٤٢٤
جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

ISSN : 2410-1818

جغرافية مدينة صنعاء الطبية
(1900-2025م)

Summary

This is a new aspect of research in human geography. It deals with the state of public health in the capital Sana'a during the period l900-2025.it deals with the most important endemic and imported diseases specially their burden on the health of the people as well as the factors governing their prevalence. In doing so we had to overcome several hurdles mainly due to absence of data. Despite this we managed to reflect the public health situation during the last century and particularly with the impact of 26th Sept. revolution and the unification of Yemen in 1990. On top of that there were the changes which took place resulting from the fact that Sana'a remained to be the centre for the changing affairs of the country. Added to this were the effects of the Gulf war including thousands of returnees from the Gulf states.

The deterioration which involved the health situation improved to a certain degree during the period 1962-1989. This improvement did not last long as it succumbed under the heavy burden caused by returnees and migrants from other towns and from the Gulf and the Horn of Africa states. The first years of this century witnessed an improvement in the number of health institutes and the standard of the health services which continued from

about 2000 to 2010. The end of this improvement coincided with the political upheaval which took place in the Arab world. Among other changes it led to a conspicuous deterioration in the standard and availability of health services. At the same time other relevant services like electricity supplies deteriorated to a remarkable state. We may thus conclude by stating that Sana'a the capital of the country witnessed a period of deterioration in the health standard during the years 1900-1962, with minor improvement during the period 1962-1990. Of late and to date Sana'a the capital remains under the threat of future epidemics.

Recommendation:

Establishment of a general comprehensive record of all threats affection the standard of health in Sana'a.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول : المقدمة والإطار النظري

المقدمة :

إن موضوع البحث يتلخص في بعض التساؤلات، ومنها كيف كان إطار مدينة صنعاء الصحي والطبي في الماضي؟ وكيف أصبح الآن؟ وكيف يمكن أن يكون في المستقبل؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات يجب أولاً تشخيص الوضع الطبي عبر التاريخ في جغرافية مدينة صنعاء كيف كان، وما هو كائن وما ينبغي أن يكون،وكيف سيكون مستقبلاً، ثم نقف عند وصف جغرافية مدينة صنعاء الطبي والذي كان نتاجاً لتراكم ثقافات ساكنيها الذين تعاملوا وما زالوا يتعاملون مع جغرافيتها الطبية ويتعايشون مع جغرافية مدينة صنعاء الطبية، هذه الإطلالة نستطيع القول أن جغرافية مدينة صنعاء عرفت في الماضي، والماضي القريب لحقبة الخمسينيات من الألفية المنصرمة كان يشهد لهذه المدينة أنها ذات إطار صحي وبيئي جيد مميز ناهيك أنها حوت على بعض المؤسسات الطبية والمتمثلة ببعض الصيدليات والمستشفيات والتي زادت من جودة الخدمات الصحية التي جاءت نتاجاً لوضع طبي مميز ظلت ملامحه متواجدة في جغرافيتها إلى وقت قريب، وهذا ما يؤكده ساكنيها المعمرون إلا أن هذا الواقع تراجع سلباً مع حقبة الستينيات من الألفية المنصرمة رغم وجود وتزايد المرافق الطبية من صيدليات ومستشفيات وعيادات هذا التراجع كان له تداعيات وأسباب منها على سبيل المثال تردي المناخ والهجرات السكانية المكثفة إليها ناهيك عن الضغوطات الخدماتية عليها التي تفوق قدرات مواردها وضيق أحيائها السكنية وزاد التردي في جغرافيتها الطبية في حقبتي السبعينيات والثمانينيات من الألفية المنصرمة فحصل تراجع في مقوماتها كمدينة وكعاصمة من هذه المقومات على سبيل المثال التناقص الحاد بموارد الماء فيها كان سببًا كافيًا لتعكير إطار جودة مدينة صنعاء الصحي وكثرة المبيدات والسموم في حقولها وبساتينها ومقاشمها، كما زاد الوضع الطبي فيها كثرة وسوء توطين المعامل والمخابز والكسارات والمناشير...الخ وزادت الأدخنة والغبار في فضائها مما جعل الأكسجين فيها يتناقص مع العلم أن بعد مدينة صنعاء وارتفاعها عن البحر جعلها قليلة الأكسجين ومحدودة المياه وغيرها من الكوارث التي تأثر بها

ISSN : 2410-1818

ساكنيها وزوارها. وتأثرت بها جغرافيتها الصحية (تدبير الموارد المائية)[1]، ومع عقد التسعينيات توحدت اليمن واعتبرت مدينة صنعاء عاصمة سياسية لليمن الموحد وظلت تحتفظ بمركزية للمال والأعمال شجعتها على تطور وتنامي خدمات النقل الجوي والبري والعلمي والتربوي والصحي التي تفتقدها غالبية مدن اليمن حتى لحظة كتابة هذا البحث وبداية هذه المعطيات مجتمعة ومتفرقة ضغطت على الإطار البيئي والصحي لجغرافية مدينة صنعاء رغم مرافقها الطبية المتعددة والمتنوعة كانت خدماتها رديئة لآن بنيتها التحتية لم تكن متهيئة لتحمل مسؤولية جسيمة كعاصمة بلد تشهد تزايد لسكانها بصورة كثيفة والتي أعجزت مواردها أن تلبي حاجياتهم اليومية من سكن لائق ومياه وفيرة ونقية وأكسجين طبي ومواصلات مهيئة ومشاف ذات خدمات متطورة...إلخ، لذلك ولجت مدينة صنعاء الألفية الثالثة بإطار طبيي وبيئي وصحي منهك، فاليوم أصبحت مساحاتها محدودة التوسع وعشوائي وبلا تخطيط حضري والمدينة تفتقد للشوارع الواسعة و شبكة صرف صحي معاصر،وخدمات طبية ضعيفة مهددة بالسموم والمبيدات المحرمة مدينة يلوث هوائها غبار الكسارات والمناشير الحجرية، إن ما ذكر ما هو إلا جزء من الاختلالات الحضرية التي عمقت من جراح الجغرافية الطبية لمدينة صنعاء، واليوم و بعد هذه المقاربة يجب ألا ننسى أن مدينة صنعاء في الماضي وحتى الماضي القريب من الخمسينيات من الألفية المنصرمة مقارنة بما هي عليه مدينة صنعاء اليوم من بداية العشرية الثانية من الألفية الثالثة تعد واحة خضراء ذات إطار طبي مميز، فقد عاشت عبر مراحلها التاريخية زاخرةً بموارد الحياة التي هي أساس نقاء وجودة إطارها الصحي والطبي الذي ميزها بمراحل ذهبية مضت في إطارها الطبي الجغرافي.. (الرازي تاريخ مدينة صنعاء)[2]، و بعد أن تم إبراز بعض مكامن القوة والضعف لهذه الاختلالات التي دمرت وداهمت الإطار الطبي والصحي

[1]- تدبير الموارد المائية: منهاج ودليل تعليمي مقترح لمقرر دراسي خاص بالمستوى الجامعي للبلدان الإسلامية، منهج أنجز من طرف خبراء هيئة الشبكة الإسلامية في تنمية وتدبير الموارد المائية (INWRDAM)، عمان، الدليل تعليمي من إعداد د/نظير الأنصاري، د /عودة الجيوسي (INWRDAM)، عمان، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو- الرباط، المغرب ١٩٩٩م/١٤١٩هـ.– ص٥-٦.

[2]- الرازي ت"٤٦٠هـ-١٠٢٨م" :تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق ودراسة حسين العمري، طبعة جديدة منقحة ألحق بها تذييلا كتاب إحصاص للعرشاني – دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٨٩م، ص١٥٠-١٥٦، ٢٢٦-٢٤٨، ٢٧٣-٢٧٧.

أ-المقشم هو بمثابة بستان الحي يتم زراعته في إنتاج الكزبرة والنعناع والطماطم والفجل والبصل والثوم والكراث، وبعض أنواع النوار مثل المشموم، ويروى بمياه التساقطات المدارية الهاطلة على الحي، كما تستخدم المياه العادمة لمطاهير الحي، ويسمى ببعض البلدان الجرادي مثل المغرب.

ISSN : 2410-1818

لجغرافية مدينة صنعاء وما يواجهها من صعوبات آنية ومستقبلية بها، وسوف نعتمد منهجيا عند التعمق في كتابة هذا البحث بالوقوف أمام بعض الدراسات التي كتبت عن تاريخ وجغرافية هذه المدينة في الماضي والحاضر وصولاً إلى صورة مستقبلية لجغرافية مدينة صنعاء الصحي، ومستعرضاً لوصف وتحليل جغرافية مدينة صنعاء الطبي في ماضيها الذي لم يكن مرتعًا للأمراض والأوبئة المتواجدة بها يومنا هذا مثل ..(البلهارسيا -التيفود –التتنوس -الحصبة –السل الرئوي –الملاريا –وأمراض القلب –الفشل الكلوي، ضيق النفس...إلخ)، وإن موطن غالبية هذه الأمراض المناطق الدافئة والرطبة والحارة وبعضها من خارج اليمن؛ لذا انتقلت إليها هذه الأمراض بسبب كل ما سبق ذكره ناهيك عن الهجرات المحلية والخارجية إليها مسببة (العدوى) كون صنعاء تمثل حاضرة اليمن؛ لذا فإن كل ما سبق سوف يكون بوابة انطلاق للشروع في كتابة هذا البحث المعنون جغرافية مدينة صنعاء الطبية (١٩٠٠ -٢٠٢٥).

خريطة مناطق وأحياء مدينة صنعاء من ١٩٦٢ -٢٠٣٥م[٣]

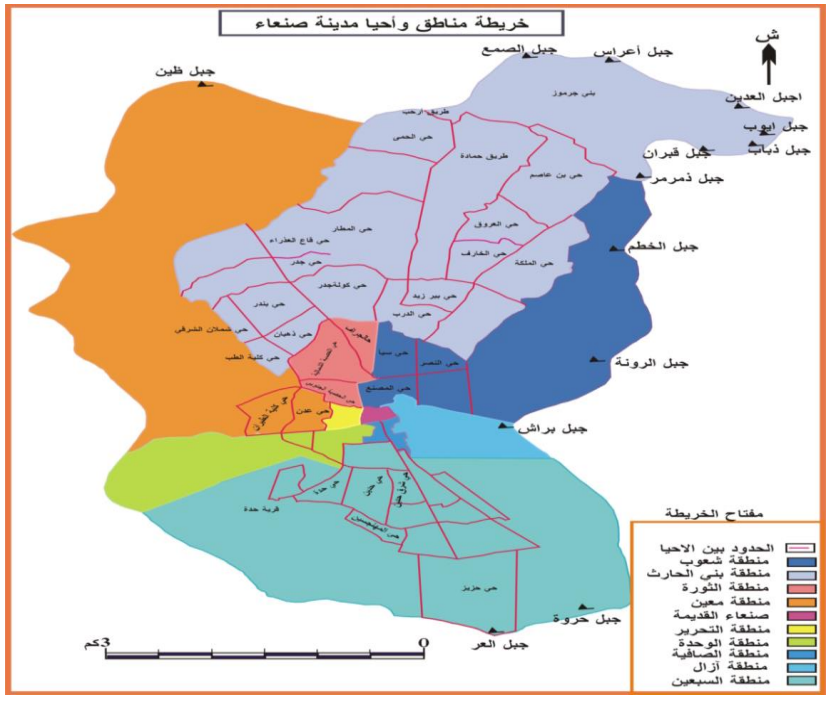

٣-تصميم قسم الخرائط الجهاز المركزي للإحصاء - الجمهورية اليمنية-صنعاء.

ISSN : 2410-1818

خطة البحث: (منهجية البحث)

مشكلة البحث:

هل ما زالت جغرافية مدينة صنعاء الطبية كما تغنى بها الفنانون بنقاوتها وجمالها، أم أن إطار جغرافيتها الطبية أضحى مسكناً للأمراض والأوبئة ولا يليق بها ولا تؤهلها أن تكون عاصمة للبلد أو تكون ظهيرًا أو مقدمة لليمن السعيد.

السؤال المركزي :

-ما هي الأسباب التي غيرت من جغرافية مدينة صنعاء من واحة طبية إلى مدينة تسكنها الأمراض والأوبئة؟ وهل كانت جغرافية مدينة صنعاء الطبية إلى وقت قريب ضمن جنان الدنيا السبع لنقاوة بيئتها واخضرارها كما عرفها الأجداد؟

التساؤلات الثانوية :

-هل كانت مدينة صنعاء جميلة، وما هو سر جمالها؟

-هل خرجت جغرافية مدينة صنعاء الطبية اليوم عن منطقها الجغرافي والبيئي والصحي عما كانت عليه في الماضي ؟

-هل كثافة السكان من القاطنين الحالين فيها كان سببًا رئيساً في تعكير جغرافية مدينة صنعاء الطبية؟

فرضيات البحث :

-نفترض أن تعكير جغرافية مدينة صنعاء الطبي سببه الأساسي هو التطور الإشعاعي الذي تشهده مدينة صنعاء؛ إذ لم يراع إمكانية ومحدودية بنيتها التحتية ومواردها المحددة.

-نفترض أن تدهور جغرافية مدينة صنعاء الطبية راجع إلى مركزية التخطيط التي عاشتها المدينة، وجلبت لها هجرة بشرية كثيفة أصبحت خطرًا يهدد جودة بيئتها الصحية والجمالية.

-نفترض أن جغرافية مدينة صنعاء الطبية تغيرت سلبًا بسبب غياب وجود دولة المؤسسات وعدم تفعيل القانون، مما جعل مدينة صنعاء عرضة لعبثية أدت إلى اختلالات كارثية في إطار وجودة بيئتها الصحية والجمالية.

ISSN : 2410-1818

هدف البحث :

يهدف البحث إلى توضيح صورة جغرافية مدينة صنعاء الطبية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً .

موضوع البحث:

عنون هذا البحث جغرافية مدينة صنعاء الطبية (١٩٠٠ -٢٠٢٥) هذا العنوان يسلط الضوء على ماضي وواقع ومستقبل جغرافية مدينة صنعاء الطبية التي كانت يومًا ما إحدى مدن العالم السبع، أي إحدى جنان الدنيا السبع جمالاً ولطافة.

مفاهيم ومصطلحات البحث :

- لكل بحث مصطلحات ذات أبعاد متنوعة (محلية -إقليمية -عربية -دولية – كونية)، ولذلك أهم المصطلحات والمفاهيم التي سنقف أمامها في بحثنا هذا هي:

١) ١ -المصطلحات مثلا، ماذا نقصد بـ(جغرافية مدينة صنعاء الطبي)

٢) ٢ -المفاهيم. مثلا ماذا يعني بـ(جنان الدنيا السبع)

زمانية البحث :

- الحدود المكانية للبحث هي: أمانة العاصمة (من الشمال الشرقي مطار صنعاء الدولي - من الشمال الغربي لشملان – من الغرب مداخل بني مطر – من الشرق نقم – من الجنوب خط صنعاء تعز، من الجنوب الشرقي مداخل سنحان – ومن الجنوب الغربي بلاد الروس) وهي المساحة التي تشكل حدود أمانة العاصمة صنعاء.
- الحدود الرمانية للبحث هي: (١٩٠٠م -٢٠٢٥م)، أي من مطلع الألفية الثانية المنصرمة إلى عشرينيات الألفية الثالثة .
- أدوات البحث هي: الخرائط الجغرافية، المصادر والمراجع العلمية، البحث الميداني، التقارير والإحصاءات الصحية، المقابلات الشخصية للسكان المعمرين في صنعاء.

ISSN : 2410-1818

❖مناهج البحث: تم اعتماد المناهج العلمية التي تتناسب مع الأبحاث الجغرافية التي ابتكرها وطبقها جهابذة علماء الجغرافية وهي: المنهج التاريخي –والخرائط - المنهج الإقليمي -المنهج الوصفي -والمنهج الاستقرائي -والمنهج الإحصائي.

المبحث الثاني: الإطار الطبي لجغرافية مدينة صنعاء وأمراضها ١٩٠٠-١٩٦٢

كانت جغرافية مدينة صنعاء الطبية منذ ١٩٠٠ -حتى ١٩٦٠ بقعة جغرافية محددة وفيرة الموارد، وكان يقطنها بشر محدودون (أسر معروفة)، وكانت مواردها رغم غزارتها وتزامنها مع محدودية قاطنيها متناغمة، زادها ذلك التناغم جمالا عبر التاريخ، فلم تكن يوما ما ملاذًا للأمراض والأوبئة، وكانت تحل بها أمراض موسمية طبيعية تزول مع زوال الانقلاب المناخي .

ومن أجل الشروع في كتابة هذا البحث واجهتنا صعوبات عدة، أبرزها شحة في المعلومات الوثائقية التي تغني البحث، أي أننا لم نجد إلا بعض المصادر والمراجع وشفافية بعض معمريها، فهي تكاد تلمح إلى بعض الجزئيات البسيطة لجمالية مدينة صنعاء ولطافتها، ويعد هذا البحث جديدًا ومهمًا في علم الجغرافية الطبية؛ لأنه يتناول مجالا لا تتواجد له مراجع بهذا الشأن، ولذا سوف يعتمد البحث على تاريخ مخططات المدينة وتسييرها في القديم، وسأحاول دراسة أعماق منظومة هذه المدينة مستفيدًا من خلال تواجدي فيها منذ بداية ثمانينيات الألفية المنصرمة، ويمكن القول أن مدينة صنعاء عاشت هذه العقود الستة خالية من الأمراض والأوبئة والكوارث؛ لأن بيئتها عبر العصور لم تكن موطنا حقيقيا لهذه الأمراض غير المعهودة، والتي وجدت في بلدان أخرى آنذاك، ولم تعرفها جغرافية مدينة صنعاء قط،[٤]، كما يجب أن نقدم نماذج لهذه الأمراض التي وجدت في تلك الحقب في بلدان أخرى ومنها ..(الملا ريا -التيفود –التتانوس –الكبد -الفشل الكلوي–الأنفلونزا -الحصبة -التقرحات الجلدية - الحساسيات الجلدية والتنفسية. -والسل -البلهارسيا وأمراض القلب...إلخ [٥]، وهذه الأمراض تكون في كثير من الأحيان في المناطق الحارة والرطبة، وهذه ليست من بيئة

[٤]- د. جليل أبو الحب-الحشرات الناقلة للأمراض-عالم المعرفة - العدد ٥٤يوليو ١٩٨٢-سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت صدرت هذه السلسلة في يناير ١٩٧٨م.

[٥]- د. جون بوستيحيت، ترجمة-د. عزت شعلان، مراجعة د. عبد الرزاق العدواني ود. سمير رضوان- الميكروبات والإنسان- العدد٨٨-أبريل ١٩٨٥م- سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت.

ISSN : 2410-1818

صنعاء فقد كانت ذات إطار صحي وطبي جيد، وهذا ما تؤكده الحكايات الشعبية والأغاني ومقابلة بعض معمريها، هذه هي مدينة صنعاء التي ظلت عبر التاريخ ذات سمعة طيبة جميلة، وأعتقد أن هذه المعطيات كافية لتمثل سببًا رئيسيًا وجوهرياً لتمتع جغرافية مدينة صنعاء بإطار طبي عالي الجودة، فقد وصفت صنعاء عن نظافتها في القول (وأما نظافة هذه المدينة بأجملها فأمر يقصر عنه لسان الواصف بما فيها من نقاء وجمال (وصفت صنعاء ص٩٢)[٦]، وظل الواصف مستطرداً عن حماماتها.. (فإن فيها وفي مخازفها نحو عشرين حماما مجددة البنيان، حسنة المخالع والخزائن، مرتفعة القبب، مفيئة الحمامات، كثيرة الماء، واسعة المغاطس والأحواض، نظيفة العرصات يتداولها الرجال أوقاتًا والنساء أوقاتًا فيحتاج إلى ما يوقد فيها، فقد أعدوا لذلك خدما يطلبون ما يجدونه مما يخرج من فضلات الناس والكلاب ونحوها، وما يجدونه من عظمان الميتات وغيرها فلا يبقون من ذلك شيئًا، بحيث إن الإنسان لا يجد رائحة خبيثة من قبل ذلك ولا يرى ما يكرهه منها، ومن أسباب النظافة أن الفلاحين الذين يحرثون الأراضي للزرع والغرس يطلبون ما يجدونه في الحشوش التي في أسفل البيوت التي عليها المستراحات، فيدخلون إليها فيأخذون ما يجدونه فيها من الفضلات والرماد ونحو ذلك، ولا تنجب زروعهم إلا بذلك، ثم يجمعونه طوال السنة خارج المدينة في محلات يعدونه فيها إلى وقت حاجته، ومن أسباب ذلك أن كثيرا من اليهود يقصدون ما يجمعه الرائح ونحوها مما يتساقط من أعلاف الناس وخشاشهم ونحو ذلك، فيبكرون له فيكنسونه ويأخذونه ليحرقون به ما لطف من أعمال المدر ولا يصلح إلا به فلا يجد الإنسان في شوارع صنعاء ولا خارجها شيئا مما يعاف لهذه الأسباب، وأما ما فضل من الرماد الذي لا يرى إليه الزراع، وما فضل من نخلات الطين بعد البنيان وكسر الياجور والحجارة، فتحمله المتاربة الذين يدخلون التراب من البراري على بهائمهم ويجعل لهم من الأجرة على كل حمل شيء يسير على الحمل له قد يحمل الثلاث المائة الحمل بقرش واحد، نعم وأما أرماد الحمامات فإنهم يبيعونه بالثمن ويقصد له من يريد العمل بالقطر، لأ نهم يخلطونه بالنورة فيعتقد فيبنون به أوعية الماء

[٦]- جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الشهاري (ت بعد سنة ١١٧٦ هـ) وصفت صنعاء -تحقيق :عبد الله محمد الحبشي، ١٩٩٣م، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية –صنعاء .

التي تبنى بالقطر ولا يصلح إلا بها هذا ومن أسباب نظافة صنعاء أن أرواث الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم لا يمكن أن ينحط إلى الأرض إلا وقد قصد له غلمان(وصفت صنعاء ص ٩٦)[٧] بينما ظل يصف جمال صنعاء وحدائقها وأنواع أشجارها ورونقة جنانها ومخارف ❖نزه❖ صنعاء، (وأما صفة مخارف صنعاء وجنانها فإليها يساق الحديث فإنها قد أحاطت بثلاث من جهات المدينة، من اليمين والغرب والقبلة حتى صارت المخارف والبساتين وما فيها من الدور والأسواق والخانات والحمامات مدنًا كبار معمورة، وقد احتوت على جميع أشجار جنات الدنيا التي تثمر من المغروسات لا أعلم أنه يغيب عنها إلا النخيل فإنهم لا يولعون بغرسه في زماننا، مع أنه كان من جملة ما يستثمر فيه وكذلك العنب والعناب والخرنوب الذي هو من القرنبيط، فإن هذه الأنواع الأربعة لا يغرس فيها مع جلب أفضل ثمار هذه الأربعة الأصناف إليها جافة، وقد يصل إليها الرطب والعنب أخضرين ولو يغرس لصلحت كلها أو بعضها بإذن الله تعالى، وأما غير ذلك فموجود فيها مع نجابتها النجابة التي لا تغادر فإن بعض هذه الأشجار ينتهي حتى يكون كأعظم دوحات الأشجار الكبار، بحيث إنه يقطع منها الأخشاب المهيئة ويتخذ منها الدروف والمحتاج إليها في صناعة النجارة، وأما الأثالة المغروسة التي كانت يعتادها الألوان فقد صارت غياضها مظلمة تسكنها الوحوش، وتنجب نجابة عظيمة حتى قد تساوي شجر السرو العظام في الارتفاع فأكثر، اعتمد أهل هذه المدن في بنيانهم وأعمالهم وعروش أعنابهم عليها، هذا وأما الأعناب فقد تمد مدًا بليغا حتى تدخل إلى صحون الدور فتغرس عليها ويجعل من عروشها المدارج العظام ويعرش منها مربعات هائلة على أعمدة الخشب على أبواب المفارج والغرف ونحوها[٨]، بينما وصف منازلها وما تحويها من جمال وبساتين تعانقها يقول: (وأما صفة المفارج التي هي الغرف التي اتخذت في زماننا تحت عروش العنب وفي بساتين الشجر فيقصر الوصف عن نعتها، فقد عمرت معتدلات الشكول مرتفعات عن الأرض نحو القامة مفتحات الجهات الثلاث من الغرب واليمين والشرق وعليها مصاريع الأبواب المعلقة في الخطاطيف التي تكسر إذا شاءوا بالزفافير التي تؤدي عملها وزينت بأنواع صفايح

[٧]- نفس المصدر السابق-وصفت صنعاء .
[٨]- مصدر سابق –وصفت صنعاء.

ISSN : 2410-1818

الحديد والنجوم والمهارز المقببة التي قدموه عليها بالصفر والرصاص الأبيض وفوق هذه الأبواب وغيرها الكوات المفتحة فيها جامات البلور الصافي الملون، وقد شيدت بكل تشييد، وزينت بكل زينة، على أبوابها البرك والفسقيات التي قد وضع في أوساطها وأطرافها الشاذروانات التي ينبع منها الماء حتى يرتفع القامة والقامتين، تصل إليها من القساطير التي يمر فيها الماء الآتي من أعالي أساور الآبار المتخذ فيها مناقض للماء المنتزع من الآبار فيكون لتلك المياه لعب عجيب لأنه يجعل عليها جوزات النحاس التي لها أنابيب عليها عجلات محكمة يكون لها لعب دوران فيكون في هذه المفارج نظارة عجيبة خصوصا عند ما تكون الشمس فيها فإنها تحكي ألوان البلور والزجاج والشجر ونحو ذلك [٩].

بينما بعض المؤرخين تناولوا صنعاء بدراستهم واصفين جمالها ومناظرها البديعة بأنها ذات جغرافية يحفها إطار جمالي رائع، حيث استطرد الوصف بأنه لو تم اعتلاء روابي وقمم ضواحي مدينة صنعاء، على سبيل المثال قمة جبل عصر في أحد فصول صنعاء سويعات للاحظت جغرافية مدينة صنعاء تحتك تمتد في سهل واسع يحيط بها الجبال على أبعاد مختلفة، بينما في الصباح الباكر ترى كيف ترسل الشمس أشعتها الذهبية على منازل صنعاء، وأنها بدت آية من آيات الجمال . بينما في المساء ترى فيها الأنوار التي تزيدها جمالا على جمال، حتى أن الواصف قال مندهشا لو كنت رساما لرسمت هذه الصورة بالألوان، ولم يعلم أن صورة صنعاء تسيل بدماء وذهن قاطنها وناظرها وزائرها لا تفارقه ما دام حيا، كما ظل يصف جبل عصر بعد هبوط دام نحو ساعة من الزمان، فقد التفت إلى الوراء وإذا بالجبل يبدو أسود قاتماً فوق السحب، ووصفه جيولوجيا ومورفولوجيا بأنه جبل بركاني يأخذ منه أهل صنعاء حجارتهم السوداء التي يستعملونها في بناء دورهم، والمشهور عن أحجار هذا الجبل أنها شديدة الصلابة [١٠]. ثم ظل يصف جيولوجية مسيرة طريقه من الحديدة حتى وصل منطقة متنه أحد مداخل صنعاء، ظل يسترسل ويصف هذه الجيولوجية إلى أن وصل أبواب صنعاء، والتي أخذت منه مسيرة نصف يوم وصفها أنها جبال بركانية ووديان متسعة خصبة،

[٩]- مصدر سابق –وصفت صنعاء.

[١٠]- نزيه مؤيد العظم –رحلة في العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء- ط٢، ١٩٨٦م- دار التنوير للطباعة والنشر –بيروت.

حتى أنه شاهد بمسيرة سفره من الحديدة إلى صنعاء خصوصا في بعض الأماكن على طول الطريق بين الحجيلة وصنعاء نوعا من الصخور التي يقال لها (Comglamerete) وهي كناية عن أحجار بركانية صغيرة التصق بعضها ببعض بالتراب والطين بفعل المياه، كما وصف سهل عصر أنه سهل متسع تسيل فيه مياه محددة، ونظر إلى هذا السهل أنه جميل ذو تربة خصبة إلا انه سهل بور لا زرع فيه، مع معرفته أن أهل اليمن نشطون وخصوصا أبناء الجبال الذين حولوا تلك الجبال إلى مدرجات وحقول إلا هذا السهل لا زرع فيه، اندهش وسأل لماذا لا يزرع هذا السهل ؟، وسرعان ما عرف أن الفرشة المائية بعيدة وتحتاج تكاليف وتقنيات معاصرة للوصول لهذه المياه للأعماق، ولهذا لا يزرع السهل الواسع إلا زراعة بعلية أبان التساقطات المطرية،كما هو حاصل في بلاد الشام، وخصوصا في جبل الدروز في لبنان وحوران بفلسطين، كما رأى في أطراف هذا السهل الممتد إلى شمال صنعاء وفي صنعاء نفسها كثيرًا من المزروعات والحدائق الغناء فيها من كل فاكهة زوجان، ووقف أمام صنعاء آنذاك يصفها بقوله: إنها مدينة ذات ستة أبواب وسور يحيط بها من جميع أطرافها، وإن هذه الأبواب تنعت بـ(باب البلقة، وباب الشقاديف، وباب اليمن أو عدن، وباب شعوب، وباب خزيمة، وباب الروم، إلى آخره من وصف هذه المدينة ...الخ، وتأكد أن مدينة صنعاء قطعة من جنة عدن، وهي ثالثة الجنان بعد دمشق، كما تحدث عن غيول مزارع وأنواع الأشجار والفواكه المتواجدة في بساتين وحدائق صنعاء [11]. ثم رأى صنعاء المدينة الأزلية الخالدة ليلا عند مغيب الشمس أمام ناظريه بمآذنها الجميلة، وبناياتها الملونة العجيبة، كأنها حسناء من حسان هذا الزمان قد ازدانت باللؤلؤ والمرجان، ومن خلفها يشمخ حارسها الأعظم جبل نقم برأسه فوق السحاب وتتلألأ في قمته أنوار تنعكس عن جدران الحصون فتزيده بهاء على بهاء . واستطرد قائلا : ونظرت بالقرب مني فإذا بالحدائق مزدهرة بأنواع البقول والأعشاب التي أكسبت أرضها لونا سندسيا أخضر ينفذ جماله إلى القلوب قبل الجلود، وتحدث عن مناخ صنعاء فقال: كان النسيم فيها عليلا، وحرارة الشمس خفيفة، والأولاد على الآبار ينشدون أناشيدهم الجميلة . وقال باختصار: إن كل شيء كان فتانا يهيم فيه الإنسان . ثم قال: وبقيت أمتع النفس بهذا

[11]- نفس مصدر نزيه مؤيد العظم.

ISSN : 2410-1818

المنظر الخلاب إلى أن اصفر قرص الشمس وأخذ يتوارى شيئا فشيئا خلف الجبال، وما كاد يغيب عن بصري حتى هاجمني الظلام بخيله ورجله، وما أسرع دخول الظلام بعد غياب الشمس في هذه الجهات القريبة من خط الاستواء، وتحدث عن مناخ برودة صنعاء الذي يصل ما بين ٤ -١٠ تحت الصفر، ولم يثن أهل صنعاء للخروج لصلاة الفجر [١٢]، كما لاحظ ولوج صنعاء عصر المدنية وذلك من خلال إدخال خدمات العصر آنذاك مثل الأسواق والبريد والتلغراف والبنوك والمدارس العلمية المتوكلية العلمية، بينما المرافق المدنية مثل الهاتف والتلغراف والبريد والبنوك كانت بلدان الجوار تفتقدها تماماً آنذاك قبل الطفرة النفطية، كانت بلدانًا بدوية مساكنها الخيم ومهنتها الرعي والترحال [١٣]. وقد أثار انتباهه – وهو جزء من موضوعنا انتشار الصيدليات، وأن أول صيدلية نموذجية وجدت بمدينة صنعاء تسمى صيدلية البلدية، وهي كانت تبعد بضعة أمتار عن باب الشرارة، وكانت لوحتها مكتوبة باللغة التركية (بلدية أجزخانة سي)، وكانت تتبع الإمام لكنها كانت تقدم خدمات جليلة وعظيمة لمن جاء إليها، وكانت مكتظة بالعلاجات الجيدة والمهمة آنذاك، وكانت هذه الأصناف يؤتى بها من بريطانيا ومن فرنسا ومن إيطاليا ومن ألمانيا، ولذا نعتت هذه الصيدلية بقمة النظافة والترتيب على صعيد مدينة صنعاء دون غيرها من الصيدليات الأخرى، وأن من كان يعمل بهذه الصيدلية اسمه حسين الروضي [١٤]، فقد تعلم مهنة الصيدلة منذ مجيء الدكاترة الطليان، وهو صنعاني، كذلك هذا الإنسان علم ابنه مهنة الصيدلة . وكانت هذه الصيدلية تقدم العلاجات في أثمان بخسة؛ لأنها فتحت تحت توجيهات ورعاية الإمام وحكومته آنذاك، وكان القصد من فتحها هي المنفعة العامة فقد كانت هذه العلاجات مدعومة حيث لا تدفع الجمرك على هذه العلاجات كونها تخص الحكومة، وقد أمرت حكومة الإمام بأن تعطى هذه العلاجات إلى الفقراء مجانا ومن الأغنياء تتقاضى ثمن العلاج دون أقل ربح . لذلك كانت هذه الصيدلية تقدم خدمات جد مهمة وإنسانية للناس،هذا النوع من الخدمة أكد قيمة رعاية الحكومة الحكيمة التي تهتم بشأن رعاياها آنذاك، ومع وجود هذا

[١٢]- نفس المصدر السابق.
[١٣]- نفس المصدر السابق.
[١٤]- نفس المصدر السابق.

ISSN : 2410-1818

الخدمات بالصيدليات الأخرى إلا أنها كانت قاصرة، وكان اليمنيون آنذاك لا يزالون غير متمدنين فلا يعنون كثيرًا بالأطبة والعقاقير، وخصوصا القبائل البدوية التي لا تعرف عن الطب شيئا، وتداوي معظم الأمراض بالكي والنار وببعض الوصفات البدوية التي توارثها الأبناء عن الآباء... (نزيه مؤيد العظم ص١٣٥ -١٣٦)[١٥]، وكذلك كان بمدينة صنعاء مستشفى يتبع الدولة المتوكلية (الإمام) كان يسيرها أطباء أجانب خصوصاً الطليان، وهكذا زادت هذه المرافق جغرافية مدينة صنعاء جمالية وصحة طبية.

المبحث الثالث: أسباب تدهور الإطار الطبي لجغرافية مدينة صنعاء منذ ١٩٦٢م حتى -٢٠١٢م

مثل ميلاد ثورتي ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م و١٤ أكتوبر ١٩٦٣م بداية فجر جديد لدولتين يمنيتين معاصرتين، تشكلت فيهما حكومات وطنية تحملت هموما جمة، أبرزها محاربة الثالوث (الجهل –الفقر -المرض)، فقد نهجت سياسات اليمن المتعاقبة محاربة هذا الثالوث، إلا أن المخاض كان عسيراً للدولة الفتية التي لم تكن تمثل دولة مؤسسات، بل شبه مؤسسات، فقد كانت فكرة التحول الاجتماعي والحضري في اليمن ككل وجغرافية مدينة صنعاء كعاصمة على درجة الخصوص محاولة للخروج من هذا الثالوث، إلا أنها اصطدمت بعرقلة نمو بعض الأنشطة ومنها الصحة، فلقد داهمت جغرافية مدينة صنعاء من يومها هجرات بشرية مكثفة من الداخل ومن الخارج، هذه الضغوطات أعجزت مواردها وبيئتها عن تقديم خدمات للقادمين إليها، فقد ولدت فيها منشآت ومؤسسات مكتملة أحيانا، ناقصة أحيانا أخرى، تعاني غالبيتها من نقص في مرافق التعليم والمستشفيات والتطبيب والمياه والشوارع والحدائق ...إلخ، إلا أننا لا ننسى أن المجال المدروس قد عرف المركزية المجحفة للتموين الديمغرافي والعمراني، وإن انتشار غالبية هذه المؤسسات والمرافق في أحيان لم يلبِّ احتياجات ساكنيها رغم أنها حازت نصيب الأسد في امتلاكها لهذه المنشآت والمرافق والمؤسسات المتدهورة، ولاسيما المرافق الصحية والطبية، فقد شهدت جغرافية مدينة

[١٥]- نفس المصدر السابق.

ISSN : 2410-1818

صنعاء تركز وانتشار المستشفيات والصيدليات الحكومية والأهلية ومصانع الأدوية والمختبرات وشركات النظافة، والبرامج الإعلامية الصحية والوقائية، وكذلك منظمات المجتمع المدني ووزارتي البيئة والبلدية ومنظمة الأمم المتحدة المهتمة في المرافق الصحة التي بدأت بتقديم خدماتها، لاسيما من منتصف حقبة السبعينيات ونهاية الثمانينيات من الألفية المنصرمة، حيث زادت وتيرة انتشار خدماتها أكثر، وهذا ما خفف من المنح العلاجية إلى الخارج، وهو ما يحسب للعاصمة صنعاء في تقديم هذه الخدمات لمواطنيها فيها ولذلك تحسن إطار مدينة صنعاء وجودة حياتها، ومع بداية التسعينيات من الألفية المنصرمة تحققت الوحدة، واعتمدت مدينة صنعاء عاصمة للبلد، فشهدت هذه المرحلة انقلابًا ديمغرافيا وعمرانيا مذهلا في أمانة العاصمة، كل هذه التبعات جعلت من الوضع في أمانة العاصمة يتراجع سلبياً، وهو ما زاد من تدهور الصحة فيها، وقد عول القاطنون على هذه المرحلة، فظنوا أنها ستعيد لصنعاء جمال بيئتها ولطافة هوائها ونقاوته واعتباراتها الصحية، إلا أن العكس هو ما حصل، فزادت الأمراض والأوبئة رغم زيادة المرافق الصحية، فقد أكدت تقارير الجهاز المركزي للإحصاء السنوي وتقارير فرع مكتب الأمم المتحدة للصحة باليمن أن أخطر حقبة زاد انتشار الأمراض والأوبئة في جغرافية مدينة صنعاء هي حقبة التسعينات من الألفية الثانية، فقد وصلت الكثافة السكانية فيها ما يربو على خمسة ملايين نسمة. أي أنها أضحت مدينة مليونية دون مؤهلات حضرية، فظلت هذه الضغوطات تتزايد على إطار بيئتها الصحية والطبية التي عملت على تدمير هائل لصحتها فحولتها إلى مستوطنة تقطنها مكروبات وطفيليات متعددة ومتنوعة، وأصبحت الأمراض تنتشر في مدينة صنعاء بشكل واسع ومفزع، فمزروعاتها ومقاشمها وبساتينها غير صالحة للاستخدام الآدمي، لاسيما المناطق المتواجدة في جوار مطار صنعاء، فمناطق بني حوات وبني الحارث وبني حشيش أصبحت مناطق تتقبل مقذوفات بشرية وعضوية من مجاري مدينة صنعاء، وكذلك استخدام السموم والمبيدات المكثفة دون وعي، ناهيك عن نزوح عدد هائل من الأفارقة جراء الحروب الدائرة في مناطق الصومال والحبشة وأريتيريا إلى جغرافية مدينة صنعاء، فعلى سبيل المثال في حي الصافية بوسط صنعاء تشهد مهم جمعًا هائلا غالبيتهم منهك يعاني من الأمراض المعدية التي لم تكن صنعاء

ISSN : 2410-1818

تعرفها ولا تعرف الوقاية منها، وكذلك انتشار الفقر في صفوف شرائح واسعة من سكان مدينة صنعاء، ومع هذا يعلم الجميع أن اليمن توحدت واعتمدت مدينة صنعاء عاصمة لليمن في زمن صعب من الصراع العالمي وخلاف حاد مع دول الجوار،فقد كانت مدينة صنعاء مثقلة بتلك المشاكل البيئية والصحية، فهذه المرحلة قصمت ظهر بيئة وجمال وصحة جغرافية مدينة صنعاء من هنا تكون في ذاتي حرقة لما أضحت عليها جغرافية مدينة صنعاء الطبية من بيئة متخلفة وانتشار الأمراض فيها التي أفقدتها قوتها وجمال بيئتها الصحية ومن هنا شرعت في كتابة هذا البحث، وكان لازمًا علي أن أضع سؤالا جوهريا مهماً، مفاده: لماذا وصل حال جغرافية مدينة صنعاء الطبية إلى هذه الدرجة؟ وهل لدى جغرافية مدينة صنعاء الطبية الوالجة للألفية الثالثة مراصد ومحاجر لرصد الجائحة قبل دخولها البلد؟ أم أنها مدينة مفتوحة تفتقد وسائل الحماية لبيئتها ؟ فقد لقيت الجواب مؤلماً بأن جغرافية مدينة صنعاء مفتوحة دون حماية للجائحة، هذه المعطيات لاشك أنها سوف تخترق حدود وفضاءات أي بلد من البلدان لاسيما تلك التي تفتقر إلى أجهزت رصد دفاعية ومحاجر حامية لإطار بيئتها وخاصة للأمراض العادية التي تكون إصابتها شبه محددة فكيف يكون الحال ببلد مثل اليمن وحدود عاصمتها مفتوحة لانتشار الأوبئة والأمراض والفقر والتهريب، وتزايد الإنجاب الكثيف الهزيل في صفوف الطفولة ومقاومة ثقافة الموروث بتحديد النسل[١٦]، والتي تمثل عاملاً أساسياً في نقل الأمراض إليها وانتشارها بسرعة فائقة دون وجود أجهزة رصد حديثة ومتطورة ودون وجود فرق لمكافحة هذا الكم الهائل من المكروبات والفيروسات والملوثات والسموم والمخدرات وتوقيفه[١٧]؛ لهذا جغرافية مدينة صنعاء وقفت مستسلمة عاجزة أمام هذه المخاطر ليس لديها قوة مقاومة لمنبع هذه الأمراض الفيروسية ولا دفعًا لأخطارها، منها على سبيل المثال،[١٨]، والإيدز (السيدة) والكبد الوبائي والفشل الكلوي ...الخ)، مع العلم أن اليمن بلد محافظ والسياحة فيها

[١٦] - تنظيم الأسرة –الكتيب العالمي لمقدمي الخدمة الجديد في أساسيات تكنولوجيا منع الحمل-الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية –قسم الصحة الدولية – مكتب السكان والصحة الإنجابية www.Fphandbook-org

[١٧] - الصحة للجميع حيث لا يوجد طبيب- ديفيد ورتر، كارول تومان وجاين ماكسويل- ترجمة د. غسان عيسى، والصيدلي ناديا دتول، ود. باسم صعب، مراجعة وإعداد: مي يعقوب حداد-ورشة الموارد العربية- بيسان للنشر والتوزيع-الطبعة الأولى الموسعة ١٩٩٩.

[١٨] - د. فليب عطية- أمراض الفقر.. المشكلات الصحية في العالم الثالث، عالم المعرفة-العدد١٦١-مايو١٩٩٢م- سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت.

ISSN : 2410-1818

من النوع البسيط، فهل هذا نتاج لعاصمة تستقبل الآخر دون إخضاعه للحجر الصحي بمطارها ومنافذها وموانئ ومنافذ البلد الأخرى، هكذا انتهت حقبة التسعينات ذات جغرافية مريضة، بينما ولجت جغرافية مدينة صنعاء مثلها مثل عواصم البلدان متفائلة بعهد جديد لولوجها العشرية الأولى للألفية الثالثة التي شهدت جغرافية مدينة صنعاء فعلاً زيادة واهتمام الدولة والمستثمرين في انتشار المشافي والصيدليات والمختبرات ومصانع الأدوية واستقطاب الخبرات الطبية،والتي نسمعها كل يوم في وسائل الإعلام المتنوعة التي كانت تحتضن الآلاف من اليمنين وبعملات صعبة هذه المشافي اليوم أعادت لساكني صنعاء واليمن، أمال وسهولة العلاج، فرغم ما حصل في بواكير العشرية الثانية من الألفية الثالثة قد حصل ما حصل من ثورة التشبيب وثورات التمردات العسكرية والتشنجات قسمت جغرافية مدينة صنعاء إلى ثلاثة جزر، (جزيرة السلطة وجزيرة اللقاء المشترك وجزيرة الشباب) هذه المجاميع جلها أعاقت التنمية داخل جغرافية مدينة صنعاء فحولتها إلى سيل من الدما ومزبلة من الرمم والمخلفات الآدمية وإفقار للأسر والمنشأة الحكومية والخاصة وكذلك تشنجات مسلحة وأدخنة خانقة وسامة ومضرة زادت إطار وصحة مدينة صنعاء بؤساً وجو كئيب متخم بالأمراض والملوثات فأضحت مشافي ومستشفيات مدينة صنعاء خدماتها رديئة بل بعضها لم تقدم خدماتها الإنسانية كما ينبغي أي أضحت كثير من مشافي ومستشفيات مدينة صنعاء توجه سياسيا من قبل الأطراف المتصارعة وأصبح الضحية هو أبنائها التي عانت وتعاني حاراتها وأزقتها من الإغلاق السياسي والبنائي؛ لذا أضحت محرومة من أدنى الخدمات الضرورية والإنسانية مثل الكهرباء والمياه والهواء النقي والتطبيب مما أدى، وسيؤدي بالمستقبل إلى ظهور أمراض وبائية خطيرة قد يعجز الطب الحديث أن يقدم لها حلولاً، وفي هذه الأزمة حصلت بعض التفلتات منها غياب النظافة مما سببت تراكمات هائلة من القمائم نتج عنها تعفنان وتخمرات مؤذية، كما أن السيول والأمطار زادت من الاحتقانات والملوثات والبكتريات المتعددة والمتنوعة الضارة التي أثرت على موارد الحياة فيها لاسيما على صحة مواطنيها وبالخصوص شريحة الأطفال كون المناعة لديهم ضعيفة زد على ذلك أن التغذية متدهورة مما جعل المقاومة عند هذه الشريحة شبه مفقودة فبرزت أمراض فيها وكان للرياح دور كبير في نقل هذه البكتريا المرضية،

ISSN : 2410-1818

وساعد البعوض في نشرها، ومن هذه الأمراض والأوبئة: هي الإسهالات، بكتريا التيفود، فيروس الكبد، والبلهارسيا وجرثومة المعدة وضيق النفس والجفاف، ورغم أن أهم وسائل المعالجة والوقاية هي النظافة التي بوابتها رفع هذه القمائم دومًا وكذلك تغطية الآبار المكشوفة حتى لا تتلقى مقذوفات سيلية متجرثمة هذا ما عرفته مؤخراً مدينة صنعاء في عامي ٢٠١١ -٢٠١٢ من العشرية الثانية من الألفية الثالثة ومع هذا تظل أفضل كثيراً من تسعينيات الألفية الثانية .

المبحث الرابع: مستقبل الإطار الطبي لجغرافية مدينة صنعاء من ٢٠١٣-٢٠٢٥م

إن اليمن وعاصمتها صنعاء مثل بلدان ومدن العالم النامي المستشرق لآفاق مستقبلية على مختلف الأصعدة، وأبرزها الإطار الصحي ودون شك أن أي تغيير في المشهد السياسي سينعكس حتمًا بعقل حكماء وعقلاء اليمن فعله الإيجابي على كل التنمية الاقتصادية البشرية والخدمية التي سينعم بها الشعب اليمني كافة وسكان مدينة صنعاء بشكل خاص كما أن كثيراً من المؤسسات التي عانت الجمود الإجباري خلال ٢٠١١ -٢٠١٢ بدأت تستعيد نشاطها ومنها المرافق الصحية والأمنية فقد بدأ تفعيل مركز الحجر الصحي الأول بمطار صنعاء لتشخيص الأمراض الجائحة والمعدية، و تلته مجموعة من المراكز هي: مركز داء السل ثم مركز داء السكر ومركز الأمومة والطفولة ومركز مكافحة السيدة والسرطان وأمراض القلب ومكافحة تهريب المخدرات والأدوية المهربة والمبيدات والسموم، كل هذه المعطيات أعادت الكرامة والأمل لاستشراق المستقبل نحو جغرافية صحية تبعث الأمل للعشرينية القادمة للألفية الثالثة لأمانة عاصمة خالية من الأمراض الجرثومية والفيروسية المعدية؛ لأن المراكز البسيطة والمحدودة الخدمات التي كانت بأمانة العاصمة تحولت إلى مستشفيات ومختبرات ومستوصفات وصيدليات ومصانع علاجية عملاقة في ربوع جغرافية مدينة صنعاء. وتشهد مدينة صنعاء كذلك تظاهرات ومؤتمرات طبية تشيد بتلقيح الأطفال ضد الأمراض الوبائية السبعة وتلقيح الأمهات الحوامل ضد مرض الكزاز وكذلك جرع مضادات داء البلهارسيا ...إلخ، كما يعمل قطاع الصحة مع وزارة الصحة في جغرافية مدينة صنعاء التي تعمل على دفع الناس لحضور هذه الندوات لمعرفة الوقاية ضد بعض الأمراض وهي: مرض فقر الدم والسرطان والسكر، جل هذه

المعطيات جعلت جغرافية مدينة صنعاء اليوم أقل المدن في انتشار الأمراض والأوبئة فيها، ومع أن النظر إليها يخجل الحكومة اليمنية أمام بلدان العالم ومن يأتي إليها، فعلى الدولة إعادة الاعتبار لعاصمة اليمن والاهتمام بها بكل مؤسساتها ومرافقها وخاصة الصحية والطبية، وتشجيع الاستثمار الصحي والطبي بشكل جيد،بل إن كثيراً من المرضى في اليمن اليوم يفضلون التداوي والتطبيب داخل اليمن وخصوصاً بمدينة صنعاء،فقد تقلصت الإيفادات العلاجية خارج الوطن متجةً نحو المدن الرئيسية مثل (تعز -عدن –إب -الحديدة -حضرموت)، إلا أن مدينة صنعاء حازت على نصيب الأسد في معالجة كماً هائلاً من مرضى الوطن، ويرجع هذا كله إلى توفير الخدمات الطبية بغالبية مدينة صنعاء، فاليمن اليوم ومدينة صنعاء أضحت تقدم خدمات تنافسية لما هو موجود في بعض البلدان التي استنزفت ثروات اليمنيين وأموالهم وخزينة بلدانهم في سنوات مضت، فهناك مستشفيات حكومية تقدم خدمات جليلة وعظيمة ومتخصصة منها (الثورة -الكويت –الجمهوري –السبعين –العسكري – مستشفى ٤٨)، وهناك مستشفيات أهلية (آزال –المتوكل -مستشفى العلوم والتكنولوجيا ...إلخ) ومستشفيات مشتركة منها (الألماني اليمني -الألماني السعودي، وسبل الحياة...الخ) هذه جلها في جغرافية مدينة صنعاء غيرت من ديمغرافية مدينة صنعاء الصحية والطبية للأفضل .، وهذا ما يجعلنا نشعر أن مستقبل اليمن وعاصمتها صنعاء يتجه نحو تنمية تشاركية مستقبلية صحية لمجتمعنا اليمني وحاضرة مدينة صنعاء خصوصاً(مستقبلنا المشترك -عالم المعرفة - -العدد١٤٢ -أكتوبر ١٩٨٩م.)[١٩]

[١٩]- مصدر سابق- مستقبلنا المشترك عالم المعرفة -العدد١٤٢-أكتوبر ١٩٨٩م .

ISSN : 2410-1818

الخارطة الصحية لمدينة صنعاء[٢٠]

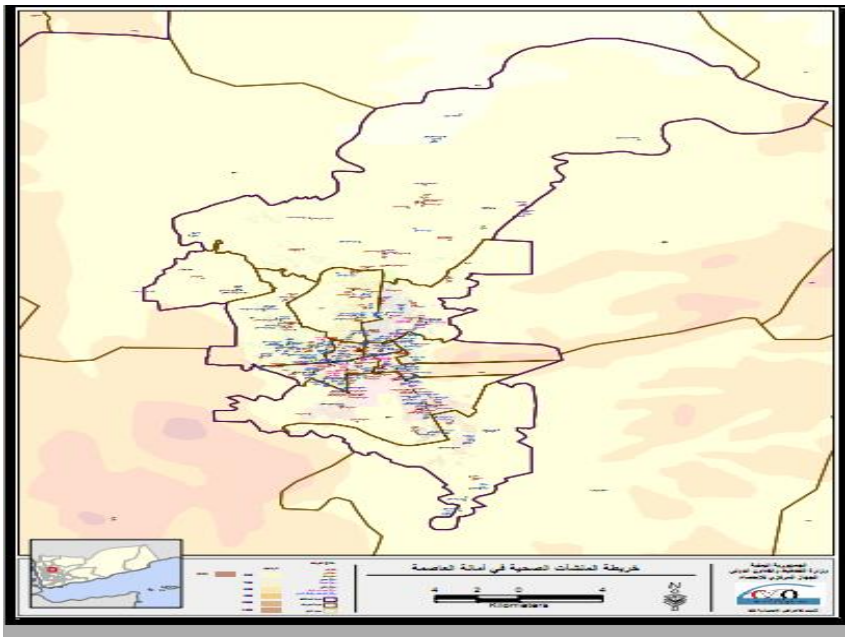

إن البيئة الصحية والطبية لحاضرة صنعاء تؤكد تماشيها مع آفاق المستقبل الصحي مع دول الجوار، وكذلك برامج منظمة الصحة العالمية، فتولدت ثقافة تهتم بالقضاء على السلبيات التي جثمت على صحة بيئة صنعاء في الأزمنة الماضية، والتي كانت نتاجها تعكير إطار صنعاء صحياً وطبياً، على سبيل المثال الاهتمام بالنظافة وإيجاد مقالب لا تؤثر في روائحها أو مسبباتها على مدينة صنعاء بأي حال من الأحوال، كذلك استخدام مياه وضوء الجوامع في تشجير شوارع وحدائق أحياء مدينة صنعاء لاستعادة رئات صنعاء طبيعتها بدلاً من تحول هذه المقذوفات السيلية إلى أوحال وروائح تجوب أحياءها، كما يجب إصدار قرار يلزم كل منزل بمدينة صنعاء بغرس شجرة واحدة على الأقل والاعتناء بها أمام منزله أو متجره، وعلى الدولة والمجالس المحلية بأمانة العاصمة العمل على تشجير كل حيز بالمدينة صالح للتشجير، وإصدار قوانين تحرم الاحتطاب أو العبث بنمو الأشجار، كما يجب إصدار قرار يمنع منعًا باتًا التربية

[٢٠] - تصميم قسم الخرائط –الجهاز المركزي للإحصاء ٢٠١٣.

ISSN : 2410-1818

الحيوانية بمدينة صنعاء والرعي داخل المدينة حتى ترقى مدينة صنعاء صحياَ وطبياَ كمدينة وعاصمة ونافذة للبلد ، كما يجب تشجيع الاستثمار في انتشار أكبر قدر من المرافق الطبية والصحية في كل منطقة من مناطق أمانة العاصمة شريطة أن تمتاز هذه المرافق بالجودة العالية بالتطبيب، وأن تكون هناك مراقبة جادة على هذه المرافق كونها مرتبطة بالحياة والموت والتشوهات، ومن هنا سنعيد الثقة لمواطن مدينة صنعاء واليمن بشكل عام، ويجب أن يكون التأمين الصحي لمواطني مدينة صنعاء مكفولاً وبمتناول الزائر إليها للتداوي والمعالجة، ويجب على قيادة أمانة العاصمة كإطار سياسي مشرف ومسير لأمانة العاصمة الجدية والإخلاص والتفاني لحمايتها وتطورها صحيًا، فهي مطالبة اليوم أكثر من الأمس بالحفاظ على إطار وجودة مدينة صنعاء صحياَ وطبياَ، وأن أهم الوقايات والمعالجات الصحية والطبية التي يجب حضورها هو مراكز إرصاد لرصد الأمراض الجائحة في منابع مواطنها قبل وصولها إلينا ، ومحاجر متطورة لتوقيف الجائحة إذا ما دخلت تحت أي ظرف كان، بداية هذه الاحتياطيات إذا وجدت وعملت بجدية يمكن القول أن مدينة صنعاء ستعود كما كان يحكى عنها في الماضي منتجعاَ صحياَ وطبياَ بامتياز خلال ٢٠٢٥م، وأنها قد تتجاوز عواصم دول قطعت بوناَ شاسعاَ في الحفاظ على إطار بلدانها صحياَ مثل بعض العواصم الأوربية والآسيوية (مستقبلنا المشترك –عالم المعرفة -العدد١٤٢ -أكتوبر ١٩٨٩م.)[٢١]، السؤال هنا كيف يمكن إيجاد عاصمة مشحونة بجل الخدمات الصحية، علماَ أن جغرافية مدينة صنعاء أضحت مقسمة إلى مناطق، وهذا يسهل روح المنافسة لتدشين المرافق الصحية بكل مديرية ، كما يسهل في إنشاء دليل لكل الخدمات وخصوصاَ دليل صحي لمواقع المرافق والمنشآت الصحية وأن توضع لوحات إشهارية في مداخل أمانة العاصمة ومطارها الدولي تشير إلى أهم المرافق الصحية لإنقاذ الضحايا؛ حتى يسهل إنقاذ المرضى فتقل المضاعفات والوفيات، فلو تم إنشاء مركز علمي في أمانة العاصمة يهتم بتطبيق ورصد الجائحة والمكروبات معتمدا على تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد في مجال الجغرافيا الطبية، هذه العلوم والمسمات تقنيات الاستشعار من بعد (RS) ونظم المعلومات الجغرافية (GIS) فقد قدمت هذه

[٢١] - مصدر سابق- مستقبلنا المشترك عالم المعرفة--العدد١٤٢-أكتوبر ١٩٨٩م.

ISSN : 2410-1818

العلوم محددات ومعطيات للجغرافية الطبية (Medical Geography) فقد أسهمت هذه التقنيات في إثراء بحوث الجغرافيا الطبية؛ وخاصة في مجالين رئيسيين هما: بيئة المرض (Disease Ecology) والرعاية الصحية (Health Care)، فقد أكد الباحثون المختصون بهذا العلم التقني أن هذه التقنيات واعدة في الإسهام في تحقيق استئصال بعض الأمراض؛ أو على الأقل تقليص الإصابة من الأمراض الحاصدة للأرواح بالعالم مثل الملاريا (Malaria)، وكذلك بقية الأمراض المنقولة بسبب الاتصال بالماء ونواقل المرض (Vector Bone Disease)؛ لذلك اليمن وعاصمتها صنعاء تفتقد هذه المراكز العلمية الجديدة التي تراقب الجائحة كما أسلفنا أعلاه (تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار من بعد في مجال الجغرافيا الطبية نوفمبر -٢٠٠٣م)[٢٢] .

الخلاصة والاستنتاجات والتوصيات والمقترحات :

الخلاصة :

نخلص في نهاية هذا البحث إلى أن جغرافية مدينة صنعاء عبر التاريخ الماضي كانت ذات إطار بيئي ممتاز، بينما شهدت بعض حقب السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من الألفية المنصرمة وكذلك عامي ٢٠١١ -٢٠١٢ تشوهات صحية في جغرافية مدينة صنعاء بينما ظلت بقية الحقب ذات إطار بيئي صحي عالي الجودة من فترة الدراسة التي حددت من ١٩٠٠ -٢٠٢٥م، إلا أن هذا الأمل ظل عفيفاً محدوداً مخيباً للآمال في الحقب سالفة الذكر، ورغم الطفرة النفطية لدول الجوار فإن ذلك ينعكس بشكل مبهر على اليمن والعاصمة صنعاء في تطور مرافقها الصحية والطبية، بينما بدأت أشعة الأمل تظهر في حقبة الثمانينات في غالبية أراضي اليمن في ريفها والحضر وكان النصيب الأكبر في العاصمة صنعاء، وذلك بسبب عودة أفواج متخصصة يمنية من بلدان الابتعاث ناهيك عن فرق دولية طبية تدعم الدول النامية في تطبيبها مثل البعثات الإيطالية والروسية والصينية والكوبية ...إلخ، وقد ساعدت تلك الأمور في القضاء على بعض الأمراض والآفات، وكانت العاصمة صنعاء في مقدمة مدن اليمن من حيث انتشار الصحة والتطبيب، وفي التسعينيات من الألفية المنصرمة

[٢٢] - د. محمد مدحت جابر، د. فاتن محمد البنا- دراسات في الجغرافية الطبية – مكتبة الانجلو المصرية – نوفمبر ٢٠٠٣م.

توحدت اليمن وكانت صنعاء عاصمة اليمن الموحد، فتوجهت الأنظار والخدمات بكثافتها صوب العاصمة صنعاء، فكثرت المرافق الصحية والطبية، ووصلت إلى كل حارة وشارع، إلا أنها اصطدمت بضغوطات فكانت حقبة عاجزة عن الخدمات لمكافحة الأمراض والأوبئة، وزادت هذه المرافق أكثر خلال العشرية الأولى من الألفية الثالثة بوجود مستشفيات ذات تنافس دولي على سبيل المثال (مستشفى ٤٨ ومستشفى العلوم والتكنولوجيا ومستشفى الألماني السعودي ومستشفى سبل الحياة...إلخ) جلها بأمانة العاصمة وقد خففت من معاناة سكان الأمانة ومدن اليمن ككل بدلاً من السفر للتداوي خارج الوطن، ومع هذا تظل العاصمة صنعاء بحاجة أكثر إلى مرافق صحية وطبية عالية الجودة .

الاستنتاجات :

- **كيف كان الوضع الطبي بجغرافيتها ...**

من خلال السيرة التاريخية لليمن ومدينة صنعاء خصوصا أكدت كثير من الدراسات أن الإطار الطبي والصحي لليمن ومدينة صنعاء خصوصاً كانت ذات بيئة نظيفة خضراء، وأن أمراضها كانت أمراضًا موسمية مناخية طبيعية أي أمراض ليست مكروبية فيروسية؛ بسبب قلة التواجد البشري والعمراني، وهذا هو سر جودة إطارها الطبي، فقد كانت ذات رئات خضراء وذات موارد مائية جيدة وإنسان محدود وعقلاني في التعامل مع موارد الطبيعة جل هذه الأشياء جعل اليمن تنخت بالخضراء و السعيدة ونعت عاصمتها بصنعاء الغناء لما امتازت به من هواء عليل ومياه عذبة وأرض خضراء كل ذلك أعطاها بيئة صحية طبية نظيفة.

- **ما هو كائن وما ينبغي أن يكون بجغرافيتها ...**

أكدت الدراسات أن الحجيج الهائل لحاضرة مدينة صنعاء و التوسع العمراني الذي غلب عليه الطابع الهش الذي وطن بمواقع غير طبيعية كمنافذ الأمانة وكذلك في ممرات السيول التي شكلت مستنقعات داخل حاضرة صنعاء ومضاف لذلك تخلف شبكات الصرف الصحي وتردي المناخ، كل هذا كان سبباً في انتشار الأمراض والأوبئة بحاضرة عاصمة اليمن صنعاء التي استحوذت على جل مراكز المال

ISSN : 2410-1818

والأعمال والإدارة والسياسة فظهرت أمراض لم تكن صنعاء موطنها، فتعكر إطار وجودة مدينة صنعاء صحياً وطبياً،بينما كان ينبغي أن تدرك الجهات ذات العلاقة باليمن أن تكون جغرافية مدينة صنعاء ذات إطار طبي عالي الجودة كون صنعاء عاصمة لليمن ونافذة للعالم والقلب النابض لصحة وجمال اليمن.

- **ما سيكون بجغرافيتها..**

إن جل بلدان قارات العالم تكون عواصمها مميزة عن بقية المدن بتوفر جل الخدمات ومنها الصحية والتطبيبية وغالباً بعض البلدان تجد للدولة الواحدة عواصم متعددة ومتنوعة تتوفر جل الخدمات فيها سالفة الذكر عن بقية المدن الأخرى،هذه العواصم قد تكون عاصمة ..(سياسية -اقتصادية –ثقافية - صناعية...إلخ)، لهذا فإن بلدان العالم الثالث والدول شديدة التخلف تعاني من تدمير وتراجع تنموي وتهديدات للبنية التحتية يوماً بعد يوم، فأضحت هذه البلدان وعواصمها موطناً حقيقياً للكوارث والأوبئة مع العلم أن منظمات الصحة العالمية راهنت على أن الصحة للجميع في الألفية الثالثة وأن بعض الأمراض ستنتهي في العالم وأن البلدان النامية ستكون ذات إطار صحي وطبي نقي خال من الأمراض والكوارث والأوبئة في ولوجها الألفية الثالثة، لهذا يظل هذا الهدف والحلم يفصله بين التحقيق والاستمرارية قرارات وقوانين وروح عقلانية مقتنعة بالهدف وصلاحيات مالية، ومن هنا متى سيكون الإطار الصحي لدراسة جغرافية مدينة صنعاء متحرراً من الأمراض والأوبئة والكوارث؟ ..

في ضوء ما تقدم نوصي ونقترح ما يلي:

- إنشاء مراكز الاستشعار عن بعد لرصد الجائحة من منبعها قبل انتشارها ليتسنى للدول للقضاء على الجائحة وهذا ما يجب حضوره ووجوده في اليمن والعاصمة صنعاء خصوصاً.
- قيام الجهات ذات العلاقة بتشجيع البحث العلمي لرصد الإطار البيئي والصحي لمعرفة الأسباب الكبرى وراء تردي الجانب الصحي والطبي في البلدان، وهذا ما يجب حضوره ووجوده في اليمن والعاصمة صنعاء خصوصاً.

- وضع وتطبيق الخطط لتشجيع الاستثمار في إنشاء وتطوير المستشفيات والمصحات والصيدليات المميزة لتقدم خدماتها في إنها وتقليص الأمراض، وهذا ما يجب حضوره ووجوده في اليمن والعاصمة صنعاء خصوصاَ.
- قيام المنظمات المدنية المحلية والدولية تقديم الدراسات والنصائح للدول وهذا ما يجب حضوره ووجوده في اليمن والعاصمة صنعاء خصوصاَ.
- تقديم الأبحاث العلمية المشجعة للاستثمار المحفزة لرجال المال والأعمال أن يكونوا شركاء وفاعلين في تبني إنشاء إطار بيئي صحي طبي في بلدانهم وهذا ما يجب حضوره ووجوده في اليمن والعاصمة صنعاء خصوصاَ.
- غرس ثقافة في المناهج المدرسية بجل مراحله والإعلام بجل تنوعاته تدعوا وتحفز أن الحفاظ على الصحة وتطويرها قضية مجتمعية شعبية عامة وأن الكل مستهدف بضررها والكل مسؤول في الحفاظ على الإطار البيئي الصحي الطبي في بلدانهم وأماكنهم وهذا ما يجب حضوره ووجوده في اليمن والعاصمة صنعاء خصوصاَ.
- أن تكون مفاهيم المحافظة على البيئة مرسخة بثقافة المجتمع، وأن تكون هناك مادة علمية في المدارس والجامعات تدعو وتحفز للمحافظة على جمال بيئتنا وهذا ما يجب حضوره ووجوده في اليمن والعاصمة صنعاء خصوصاَ.
- أن تكون تقنيات منظومة علوم الاستشعار عن بعد موجودة بجل المؤسسات أو جزء من منظومات شبكة الحاسوب فيها تعمل على معالجات مشاكل البلد ورصدها وخاصة بوزارة الصحة وجل المرافق الصحية من مستشفيات ومصحات ...إلخ وهذا ما يجب حضوره ووجوده في اليمن والعاصمة صنعاء خصوصاَ.
- تشريع قوانين لاتخاذ قرارات تنفيذية تلزم المواطنون في احترامها وعلى من تجاوزها غرامات وإجراءات قانونية ملزمة للجهات ذات العلاقة في تنفيذها .

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع :

١) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء،ت"٤٦٠ه -١٠٢٨م"، تحقيق ودراسة حسين العمري، طبعة جديدة منقحة ألحق بها ذيلاً كتاب إحصاص للعرشاني –دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، طبعة٣، ١٩٨٩م

٢) بانرمان ره، الطب التقليدي في الرعاية الصحية الحديثة –منبر الصحة العالمي – المجلد الثالث –العدد (١) منظمة الصحة العالمية -جنيف -١٩٨٢م.

٣) جليل أبو الحب /د -الحشرات الناقلة للأمراض -عالم المعرفة - العدد ٥٤يوليو ١٩٨٢ -سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني اللثقافة والفنون والأداب -الكويت، يناير ١٩٧٨م.

٤) جون بوستيحيت/د - ترجمت -د:عزت شعلان، مراجعت -د عبدالرزاق العدواني، ود. سمير رضوان - الميكروبات والإنسان - العدد٨٨ -أبريل ١٩٨٥م. - سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت صدرت هذه السلسلة في يناير ١٩٧٨م.

٥) زهير أحمد السباعي –الصحة حاضرها ومستقبلها في المملكة العربية السعودية –إدارة البحث العلمي –المملكة العربية السعودية –الرياض -١٩٨٨م.

٦) عبد العزيز طريح شرف –البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبيعية –دار الجامعات المصرية –الإسكندرية -١٩٨٦م.

٧) علي سالم الشواورة، /د - جغرافية المدن -المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – عمان -ط١ -٢٠١٢م.

٨) فليب عطية/د -أمراض الفقر -المشكلات الصحية في العالم الثالث - -- عالم المعرفة -العدد١٦١ -مايو١٩٩٢م - سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت، يناير ١٩٧٨م.

٩) لفريد مركل –فولنا العليا: ما الذي يمكن عمله؟ -منبر الصحة العالمي –المجلد الرابع العدد٣ -منظمة الصحة العالمية –جنيف -١٩٨٣م.

ISSN : 2410-1818

١٠) جمال الدين علي بن عبدالله بن القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الشهاري (ت بعد سنة ١١٧٦هـ) وصفت صنعاء -تحقيق عبد الله محمد الحبشي، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية –صنعاء، ١٩٩٣م .

١١) ديفيد ورتر،كارول تومان وجاين ماكسويل - كتاب الصحة للجميع حيث لا يوجد طبيب - ترجمة د. غسان عيسى، والصيدلي ناديا دتول، ود. باسم صعب، مراجعة وإعداد -د. مي يعقوب حداد - ورشة الموارد العربية - بيسان للنشر والتوزيع -الطبعة الأولى الموسعة ١٩٩٩.

١٢) محمد علي محمد -السيد عبد العاطي السيد -محمد أحمد بيومي -الطب والمجتمع –دراسات وبحوث في علم الاجتماع الطبي –دار المعرفة الجامعية الإسكندرية -١٩٨٦م.

١٣) محمد مدحت جابر/د - دة:فاتن محمد البنا -دراسات في الجغرافية الطبية – مكتبة الانجلو المصرية –نوفمبر ٢٠٠٣م.

١٤) محمد مدحت جابر –الجغرافيا الطبية للقارة الإفريقية، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية –جامعة القاهرة،المجلد الأول، مايو١٩٩٧م.

١٥) محمد مدحت جابر وفاتن البنا، دراسات في الجغرافيا الطبية، دار صفاء - عمان الأردن١٩٩٨م.

١٦) محمد مدحت جابر، الأبعاد الجغرافية لمرض الإيدز في العالم مع إشارة إلى منظمة الخليج العربية، مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٩٠م.

١٧) محمد نور الدين إبراهيم السبعاوي – المشكلات الصحية لسكان محافظة المنيا -دراسة في الجغرافيا الطبية – رسالة دكتوراة غير منشورة –كلية الآداب –جامعة المنيا -١٩٩٢م.

١٨) ممدوح زكي، عز الدين شاري وعبد الرحمن عقيل، المعجم الموضوعي للمصطلحات الطبية، دار المريخ، الرياض -١٩٨٩م.

١٩) نزيه مؤيد العظم -رحلة في العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء -ط٢، ١٤٠٧ ه -١٩٨٦م -منشورات المدينة من شركة دار التنوير للطباعة والنشر –بيروت لبنان .

ISSN : 2410-1818

٢٠) هافدان ماهلر، معنى توفير الصحة للجميع بحلول عام ٢٠٠٠، منبر الصحة العالمي. المجلد الثاني، العدد الأول –منظمة الصحة العالمية .جنيف -١٩٨١م.

٢١) هوايت ك.ل. وآخرون –الخدمات الصحية، مفاهيم ومعلومات للتخطيط والإدارة الوطنية، منظمة الصحة العالمية .جنيف .١٩٧٧ -الطبعة العربية - ١٩٨٢م.❖١٧ -صندوق الامم المتحدة للسكان –حالة سكان العالم ١٩٩٤م.

٢٢) يوسف حنى، قاموس حنى الطبي، مكتبة لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

٢٣) تنظيم الأسرة –الكتيب العالمي لمقدمي الخدمة الجديد في أساسيات تكنولوجيا منع الحمل -الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية –قسم الصحة الدولية –مكتب السكان والصحة الإنجابية www.Fphandbook-org

٢٤) تدبير الموارد المائية: منهاج ودليل تعليمي مقترح لمقرر دراسي خاص بالمستوى الجامعي للبلدان الإسلامية، منهج أنجز من طرف خبراء هيئة الشبكة الإسلامية في تنمية وتدبير الموارد المائية (INWRDAM)، عمان، الأردن، دليل تعليمي من إعداد د/نظير الأنصاري، د/ عودة الجيوسي (INWRDAM)، عمان، الأردن، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو - الرباط، المغرب ١٩٩٩م.

٢٥) قناة السعيدة –برنامج صدى الأسبوع -تقرير عن مخاطر المآسي بمدينة صنعاء –يوم الجمعة ٢٧ -٤ -٢٠١٢م الساعة ٩.١٥ دقيقة مساء.